حوار

الوزير السابق، النائب الحالي، رئيس لجنة التعليم والثقافة والرياضة في الكنيست

الحاخام ميخائيل ملكيئور:
لا يمكن تعليم الكراهية، وفي الوقت نفسه تحقيق السلام

كل التيارات الدينية اليهودية ممثلة في الكنيست الاسرائيلي، باستثناء الأصوليين المتشددين الرافضين للصهيونية ولقيام اسرائيل، وهم الناطوري كارتا ومدارسهم المختلفة، وفي الكنيست يلتقي "الحريديم"، من شرقيين (شاس) وأشكناز (أغودات يسرائيل) مع المتدينين القوميين (المفدال) ومع "ميماد"، الحزب المتدين الأقل تشددا والذي أقيم عام ١٩٨٨، ويقوده الحاخام ميخائيل ملكيؤور.

ولد الحاخام ملكيؤور في كوبنهاغن عام ١٩٥٤ وفيها أنهى دراسته الثانوية، وفي العام ١٩٧٢ بدأ دراسته الدينية في "اليشيفاه" في القدس، وفي العام ١٩٨٠ أجيز بمرتبة "حاخام" وعاد الى كوبنهاغن ليرأس الجالية اليهودية في المدينة. العام ١٩٨٦، هاجر الى البلاد وسكن في القدس وأدار بعض المؤسسات التربوية والمنظمات التي نشطت في مواضيع التسامح بين الأديان، والتربية على السلام والتعايش، وفي العام ١٩٩٥ انتخب رئيسا لحزب "ميماد" وفي انتخابات ١٩٩٩ انضم الحزب الى حزب "يسرائيل أحات" بقيادة ايهود باراك، وعين وزيرا في حكومته. عام ٢٠٠١ عين نائبا لوزير الخارجية في حكومة الوحدة القومية، وانسحب مع حزب العمل عام ٢٠٠٥ . وبعد الانتخابات الأخيرة (٢٠٠٦) انتخب رئيسا للجنة التعليم والثقافة والرياضة، وما زال يشغل هذا المنصب الى اليوم.

لم يتناول حوارنا معه القضايا السياسية المطروحة بقوة على جدول البحث مثل أزمة الحكومة بعد الحرب والحرب نفسها والفساد، بل تمحور نقاشنا حول طابع الدولة وموقع التيارات الدينية وأحزابها في دولة تحاول أن تسلك سلوكا علمانيا في ما يخص الفرد ودينيا في ما يخص الجماعة، وهو التناقض بين ديمقراطيتها ويهوديتها واعتبار اليهودية دينا وقومية في الوقت نفسه.

كيف لحزب مثل "ميماد" أن يتعايش في هذا الواقع المشحون

والمتوتر عقائديا؟

يقول الحاخام ردا على سؤالنا حول أهداف حزبه وتميزه عن الأحزاب الدينية اليهودية الأخرى:

"لقد أنشئ الحزب على خلفية ثلاثة مواضيع تحولت الى أهداف مركزية: أولا: الموضوع السياسي، فبعد حرب "الأيام الستة" (حزيران ١٩٦٧) تطور في الحركة الصهيونية الدينية اتجاه اعتبر الأرض محور اليهودية المتدينة، ونحن في حزب "ميماد" لا ندعي أن الأرض ليست ذات أهمية، ولكننا نعتقد أن الانسان يسبق الأرض، والموقف الذي يمنع تحقيق السلام بسبب التمسك بكل الأرض ويضيع قيم السلام والعدالة مقابل أرض اسرائيل الكبرى، هو موقف معقد ومشكل. وفقا للنصوص الدينية اليهودية فان السلام يأتي ، من حيث الأهمية، قبل الأرض، وقد ناقشت هذا الموضوع مع كل القادة الدينيين ولم يقدموا لي أي نص يخالف ذلك، ولكن بعد حرب ٦٧ اندفع التيار الصهيوني المتدين نحو الأرض باقامة حركة غوش ايمونيم عام ١٩٧٤ وبناء المستوطنات محاولا تبريرها بفلسفة لاهوتية غريبة عن الأصول اليهودية. ثانيا: الدين والدولة، نحن حزب متدين ولكننا نعتقد أن فرض التشريعات الدينية عنوة يتناقض ومبادئ التوراة التي تقوم على الاختيار الحر، كذلك لا يقرب الانسان من الله. نحن من أجل تأدية كل الفرائض والواجبات الدينية ولكن ليس بواسطة فرض القوانين بل بالاتفاق وبواسطة التربية والتعليم ويمكن أيضا الاستفادة من التشريعات العبرية، ولكن ليس بفرضها على المجتمع. ثالثا: الموضوع الاجتماعي. سئل مؤسس الحزب الحاخام عميطال اذا كان يرغب في أن يكون وزيرا للأديان فقال انه يفضل وزارة الرفاه، لأن الديانة تدعو الى التكافل الاجتماعي واحترام الغير . ان لب اليهودية هو احترام الآخر، المختلف، والشعب اليهودي هو الوحيد الذي لم ينشأ في وطنه بل في مصر، هناك تحولنا الى شعب وقدمنا الى هنا، وهناك تعلمنا كيف نتعامل مع الغير، في مجتمع حوّل اليهود الى عبيد . في حزب "ميماد" نحن نطمح الى تحقيق الازدهار للدولة بمضامين اجتماعية حقيقية لجميع مواطنيها.

قضايا إسرائيلية : ولكننا نلاحظ أن الجمهور اليهودي الأكثر تطرفا

الحاخام ملكيئور

أنا أؤمن أن الخليل وبيت لحم ونابلس لنا، ولكن ليس لدرجة إلغاء حقوق ساكنيها

وكراهية للعرب هو من المتدينين، انهم ينفون الآخر معتمدين على نصوص دينية يهودية.

الحاخام ملكيؤور: شعب اليهودي فقد قوته السياسية منذ التشتت وفي خلال كل هذه الفترة كنا أقلية، وفي هذه الحالة فان الأقلية تتعرض الى أمرين: الأول، تطور ايجابي يقوم على الاعتراف بحقوق الأقليات وتفهم الآخر، وهذا هو التيار المركزي الذي تطور في اليهودية. أما الأمر الثاني فهو التطور السلبي أي الكراهية تجاه الآخر لأن الآخر اضطهدك وفي أفضل الحالات كنا من أهل "الذمة" كما في المجتمع الإسلامي، وفي أسوئها تعرضنا الى مذابح واذلال خلال مئات السنين، وكان ذروتها الكارثة (الهولوكوست)، وفي الوقت نفسه نشأ بين اليهود اتجاه تفكير معادٍ باعتبار أن الغير اذا كان يكرهنا الى هذا الحد فليس من المعقول أن نتعايش معه، وعندما تحولنا الى مجتمع الأكثرية نشأ صراع بين هذين الاتجاهين. في البداية كان التيار الديني متسامحا أكثر من غيره، وأقام علاقات أفضل مع المواطنين العرب وقد أيدت الأحزاب الدينية في حينه الغاء الحكم العسكري الذي فرض على المواطنين العرب، لأن المتدينين كانوا أقرب الى التقاليد اليهودية المتسامحة، ولكن مع مرور الوقت تغير الوضع وأصبح

في البداية كان التيار الديني متسامحا أكثر من غيره، وأقام علاقات أفضل مع المواطنين العرب وقد أيدت الأحزاب الدينية في حينه الغاء الحكم العسكري الذي فرض على المواطنين العرب، لأن المتدينين كانوا أقرب الى التقاليد اليهودية المتسامحة، ولكن مع مرور الوقت تغير الوضع وأصبح المتعصبون بين المتدينين اليهود أكثر من المتعصبين العلمانيين.

المتعصبون بين المتدينين اليهود أكثر من المتعصبين العلمانيين، أعتقد أن ذلك يعود الى عدة أسباب: أولا: في جميع الديانات يكمن خطر اقصاء الآخر، والاستبداد في الموقف، فمن يعتقد أنه يملك الحقيقة يصعب عليه أن يصدق أن الآخر أيضا يملكها، ان تكامل العقيدة لدى المؤمن يكون على حساب السلام وفي أحيان يضع المؤمن نفسه في منزلة الله، فيحتقر البشر. اضف الى ذلك الأسباب الاجتماعية والسياسية، فموقف الصهيونيين المتدينين السياسي أنشأ فلسفة دينية غريبة على اليهودية في ما يتعلق بـ "أرض اسرائيل الكبرى". يؤدي الصراع الى تناقض بين منح المساواة الكاملة للعرب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي داخل اسرائيل ايضا، وبين يهودية الدولة. الذين يؤمنون بـ "أرض اسرائيل الكبرى" تنازلوا عن مبدأ المساواة للجميع، ورفضوا وجود الآخر (الفلسطيني) على هذه الأرض.

قضايا إسرائيلية وهذا يعني التمسك بالاحتلال بكل ثمن ؟

– أنا أؤمن أن الخليل وبيت لحم ونابلس هي لنا، ولكنني لا أومن أنها لنا لدرجة الغاء حقوق السكان الذين يعيشون فيها. هذا الواقع عمق الكراهية..

قضايا إسرائيلية ولكن هذه القوى تلقى الدعم ليس فقط من المؤسسة السياسية بل الدينية أيضا.

– وصفت التوراة في نصوص دينية يهودية بأنها سم الموت، لأنها قد تفسر على أكثر من وجه.

قضايا إسرائيلية لماذا لا ينبذ الزعماء الدينيون هذه الاتجاهات المنافية للديانة – كما تقول؟

– هذه الرؤيا هي وليدة الواقع، ولكنها ليست مسنودة بمرجعية توراتية بل تقوم على تفسير، فالصراع بيننا وبين العالم العربي صار على خلفية دينية أكثر.

المؤسسة الدينية تستنكر ولكن صوتها لا يسمع لأن الصوت المسموع هو الصوت المتطرف.

قضايا إسرائيلية أين صوت الحاخامية الكبرى (الربنوت)؟

– للحاخام الأكبر الحاخام عمار وللحاخام بكشي دورون تصريحات كثيرة وواضحة، وقد شاركوا مع العديد من الزعماء الدينيين اليهود في مئات اللقاءات مع زعماء دينيين مسيحيين ومسلمين، وتحدثوا بالروح التي تحدثت عنها، ولكن هذا الكلام المعتدل والمتسامح لا يصنع العناوين البارزة. في كريات أربع الحاخام ليؤور يطلق تصريحات جنونية تبرر الكراهية وقتل العرب، هذه التصريحات تنشر بعناوين بارزة، ومثل هذه التصريحات لم ولن تسمعها من الحاخام الأكبر. أعتقد أن حرب الحضارات ليست بين الحضارات بل في داخل كل حضارة، علينا أن نحارب ما هو سلبي فينا، مثل هؤلاء الناس (المتطرفين) يشكلون خطرا على العالم.

قضايا إسرائيلية ربما لأنه لا يوجد فصل بين الدين والدولة؟ وهؤلاء يفهمون الدولة اليهودية كما يفسرون التوراة هم وليس أنت أو العلمانيون اليهود.

– ان أحدا لا يقول انها دولة دينية، أنا ولدت في دولة اسكندنافية، هي النرويج، وهي مسيحية كما تعرف نفسها وعلمها مسيحي ، الصليب، ورئيسها يجب أن يكون مسيحيا، والمسيحية هي ديانة الدولة ومع ذلك فانها تعتبر من الدول المتنورة، وفي الوقت نفسه هناك دول علمانية ولكنها ديكتاتورية. المشكلة ليست في تعريف الدولة فالتطرف القومي يؤدي الى التدمير، واسرائيل كدولة يهودية تختبر بتعاملها مع الأقليات التي تعيش فيها، هذا هو

أنا ولدت في دولة اسكندنافية، هي النرويج، وهي مسيحية كما تعرف نفسها وعلمها مسيحي ، الصليب، ورئيسها يجب أن يكون مسيحيا، والمسيحية هي ديانة الدولة ومع ذلك فانها تعتبر من الدول المتنورة، وفي الوقت نفسه هناك دول علمانية ولكنها ديكتاتورية. المشكلة ليست في تعريف الدولة فالتطرف القومي يؤدي الى التدمير، واسرائيل كدولة يهودية تختبر بتعاملها مع الأقليات التي تعيش فيها، هذا هو امتحانها

امتحانها، ان الدولة التي لا تحقق المساواة التامة للعرب لا يمكن أن تكون يهودية، ولكن المؤسف أن كل أمر جيد يمكن استعماله بشكل سيء.

قضايا إسرائيلية الى أي مدى يؤثر التيار الذي تمثله على المجتمع الاسرائيلي، فنحن نلاحظ أن التيار الآخر المتطرف هو الذي يتعزز في المجتمع الاسرائيلي وينشر خطابه العنصري.

– أنا أحاول القيام بنشاط مميز، وهو الدمج بين السياسة والمجتمع المدني، فقد كنت وزيرا في ثلاث حكومات والآن أنا رئيس لجنة المعارف ولذلك أملك قوة التأثير والتغيير وأوظف هذه القوة من أجل التغيير. ان المشكلة ليست فقط في العلاقة مع

مقتل رابين

الأقلية العربية بل مع آخرين كأقليات أو قطاعات: النساء، وذوي الاحتياجات الخاصة، والتربية الخاصة وغيرها من المواضيع الملحة. في لجنة التربية والثقافة يصادق بالإجماع على ٩٨ بالمئة من المواضيع التي أطرحها، يؤيدها عضو الكنيست جمال زحالقة من جهة وأعضاء كنيست صهيونيون من جهة أخرى. كل ذلك يتحقق لأننا ننطلق من السؤال: ما هي مصلحة المواطن كمواطن، ان ما هو جيد للعرب جيد لليهود أيضا والعكس ، انني أحاول الدمج بين السياسي وبين المدني، وقد بادرت الى اقامة مؤسسات وجمعيات تعمل في هذا الاتجاه بينها منظمات تجمع بين رجال الدين من كافة الطوائف، فاليوم تغلب الهوية الدينية على المجتمعين الاسرائيلي والعربي، ومن يتجاهل الدين يرتكب خطأ فادحا، وهذا هو نقاشي مع يوسي بيلين مثلا، الذي يقول: يجب تحقيق السلام أولا ثم معالجة القضايا الأخرى، هذا غير صحيح، يجب أن يكون الفعلان متوازيين. لقد جرى لقاء مع الرئيس أبو مازن في رام الله باشتراك رجال دين واقترح أن يجري حوار مع رجال دين فلسطينيين، وفي الماضي ياسر عرفات كان يشجع مثل هذا الحوار، ولو سارت الأمور في أوسلو بهذا الشكل لما تعثرت في ما بعد. ايهود باراك أخطأ أيضا في كامب ديفيد عندما تجاهل الجانب الديني.

قضايا إسرائيلية باراك لم يتجاهل، اقترح مثلا أن يكون الأقصى فوق الأرض للفلسطينيين وما تحت الأرض للاسرائيليين..

– ان المتدينين يدركون ماذا يعني مكان مقدس، ولذلك لو أن رأيهم حول الأماكن المقدسة وضع على طاولة كامب ديفيد لكانت المفاوضات انتهت بشكل آخر، وهذا ينطبق على كل العملية السياسية. بعد أوسلو كانت محاولات مدعومة: مثل برامج " شعب

لا يمكن تعليم الكراهية وفي الوقت نفسه تحقيق السلام. في حي مائة شعاريم في القدس يعيش الحاخام الياشيف وهو زعيم كل الحريديم، وعندما توجه اليه عدد من أتباعه الذين دعوناهم مؤخرا للاشتراك في لقاء لجميع الأديان ليطلبوا منه الاذن بالمشاركة، قال لهم: اذا كانت مشاركتكم ستخفف قليلا من الكراهية بين جميع الأطراف في الكنس والمساجد والكنائس، فشاركوا.

لشعب"، ولكنها فشلت لأنها اقتصرت على اليسار في الجانبين وليس على التيار المركزي، وتجاهلت المتدينين في المجتمعين، فانتهت في اسرائيل بمقتل رئيس حكومة اسرائيل بيد متطرف متدين وفي الجانب الفلسطيني بالأعمال الانتحارية التي تبرر دينيا. لا يمكن تعليم الكراهية وفي الوقت نفسه تحقيق السلام. في حي مائة شعاريم في القدس يعيش الحاخام الياشيف وهو زعيم كل الحريديم، وعندما توجه اليه عدد من أتباعه الذين دعوناهم مؤخرا للاشتراك في لقاء لجميع الأديان ليطلبوا منه الاذن بالمشاركة، قال لهم: اذا كانت مشاركتكم ستخفف قليلا من الكراهية بين جميع الأطراف في الكنس والمساجد والكنائس، فشاركوا. وفعلا شاركوا في اللقاء، وما أريد أن أقوله هنا هو أن تجاهل المتدينين من جميع الأطراف يعقد العملية السلمية.

قضايا إسرائيلية ما رأيك في حكومة أولمرت التي يؤيدها حزبكم، انها لا تفعل شيئا في سبيل السلام، بالعكس، ما فعلته هو اعلان الحرب في لبنان وتكثيف العنف ضد الفلسطينيين.

– نعم نحن تمشكلنا في كل العملية السلمية، ولم نتصرف بشكل صحيح. أنا أومن أن ٧٥٪ من الاسرائيليين و٧٥٪ من الفلسطينيين على استعداد للتوجه بشجاعة نحو الحل السلمي القائم على مبدأ دولتين لشعبين، وهذا الحل واضح بكل تفاصيله للطرفين، ولكن السؤال لماذا لا يتوجهون؟ السبب هو أن كل طرف يتهم الطرف الآخر بأنه لا يفعل ما فيه الكفاية من أجل السلام. في كثير من الأحيان أقارن بين عملية السلام ونشيد الانشاد في التوراة، وفيه يتحدث الملك سليمان عن الحب، الحب بين عاشق ومعشوقة أو بين الانسان وخالقه، ويحكي عن أن العاشقين يبحثان عن بعضهما في كل مكان ولا يعثر أحدهما على الآخر، وعندما يكتشف العاشق مكان عشيقته يطرق على الباب ولكنها تتردد في الخروج اليه خوفا من أن يتركها، وتمضي بعض الوقت استعدادا لملاقاته ولكي لا يعتقد أنها مترامية عليه، وعندما تفتح الباب تجد أنه قد ترك المكان. هذا ما يحدث لنا . لقد انتخب الفلسطينيون حكومة لا يعرف أحد ان كانت تريد تحقيق السلام أم لا، ومن ناحية أخرى هناك رئيس فلسطيني يتجه بشجاعة نحو السلام ولكنه لا يرغب في الاقتتال بين الأشقاء، والمشكلة أننا لا نعرف متى يشكلون حكومة وحدة وطنية لكي نبدأ المفاوضات، الحديث عن هدنة لا يضع حدا لسفك الدماء ، يجب التوصل الى اتفاق موقع لا يمكن مخالفته. قبل عشر سنوات لم يكن الشعب في اسرائيل مستعدا للسلام واليوم هو مستعد ولكنه لا يؤمن بأن ذلك ممكن.

قضايا إسرائيلية وكيف يمكن تغيير هذا الواقع؟

– بواسطة الشجعان من الطرفين، أنا لا أتوقع من زعيم فلسطيني أن يخدم مصالح الشعب الاسرائيلي، ولا العكس، ولكن يجب الاعتراف أن السلام هو لمصلحة الشعبين، القضية ليست أن تكون مؤيدا للاسرائيليين أو للفلسطينيين، بل أن تكون مؤيدا للسلام أو ضد السلام. في اللقاءات الدينية التي أشارك فيها مع قياديين دينيين مسلمين ومسيحيين، أنا أقول انني صهيوني يؤمن بمستقبل الدولة اليهودية، وأنا أريد أن أكون واثقا أن في نهاية العملية سوف يتم الاعتراف بحقي في الوجود، وقد لمست استعدادا لذلك لدى الطرف الآخر حتى بين قياديين متطرفين. ان شعبنا لا يصدق سياسييه ولذلك على الشخصيات الدينية والثقافية أن تلتقي لكي يدرك كل طرف أن الآخر يتألم أيضا من هذا الوضع.

قضايا إسرائيلية ألا ترى هذا حلما رومانسيا للوصول الى السلام

وهو يقفز عن الواقع المعاش؟ فكيف ترسم مستقبل العلاقات بين المتدينين والعلمانيين اليهود وبين اليهود والعرب في واقع ملموس وبعد حوالي ستين عاما من الصراع الدموي؟

– قبل ستين عاما وعندما أقيمت اسرائيل، أراد مؤسسو الدولة من علمانيين ومتدينين أن يحسموا بين الدولة العلمانية وبين اقامة الدولة الدينية. وقد توصلوا الى تسوية أرضت الطرفين بحيث اعتقد كل طرف أن الطرف الآخر لن يبقى ستين عاما، واليوم الطرفان لا يزالان نشيطين وعلى قيد الحياة، ويتعايشان ولذلك فان الحديث عن حرب بين العلمانيين والمتدينين هو مغالاة في رسم الواقع، أعتقد أننا يجب الوصول الى وثيقة شرف تعبر عن رؤية الطرفين وهي أن اليهودية لا يمكن أن تفرض فرضا ومن جهة أخرى يمكن توظيفها لترسيخ القيم التي يقبلها العلمانيون أيضا. وفي العلاقات مع الأقليات أيضا يمكن الوصول الى وثيقة شرف، ومع الفلسطينيين سكان اسرائيل يجب أن نحقق تفاهما معهم قبل تحقيق السلام في المنطقة، فيجب احترام حقوق العرب الفردية والجماعية، وجميع الحريات لجميع الأفراد بحيث لا تتناقض وكون الدولة يهودية وديمقراطية.

قضايا إسرائيلية ولكن المجتمع الاسرائيلي يتجه أكثر نحو التدين والأصولية الدينية.

– هذا يحدث في كل أنحاء العالم، في أوروبا وأميركا وفي العالم العربي، والسؤال هو الى أين يكون اتجاه هذا التدين؟ هل سيؤدي الى مزيد من التسامح ونشر القيم، أم الى نشر الطقوس السخيفة. ان محك التدين والايمان ليس بالطقوس والصلوات بل بالسلوك .

قضايا إسرائيلية هل المؤسسة الدينية اليهودية تعتقد مثل الصهيونية أن اسرائيل هي منبع اليهودية في العالم؟

– اسرائيل هي قلب الجسد اليهودي منذ عهد أبينا ابراهيم، هكذا كانت وهكذا هي اليوم. نصف عدد اليهود في العالم يقطنون هنا وهي المركز الروحي والديني والتوراتي ، هي المركز ولكنها ليست كل شيء، في اليهودية لا يوجد مؤسسة مثل الفاتيكان ولا نظام البابوية، فكل جماعة يهودية لها استقلاليتها وكل حاخام – راب له الحق في اتخاذ القرار المناسب لجماعته وفي جميع أنحاء العالم هناك تشكيلة من المجموعات اليهودية التي يمكن أن نتعلم الكثير منها حتى في تصحيح المسارات التي انحرفنا فيها.